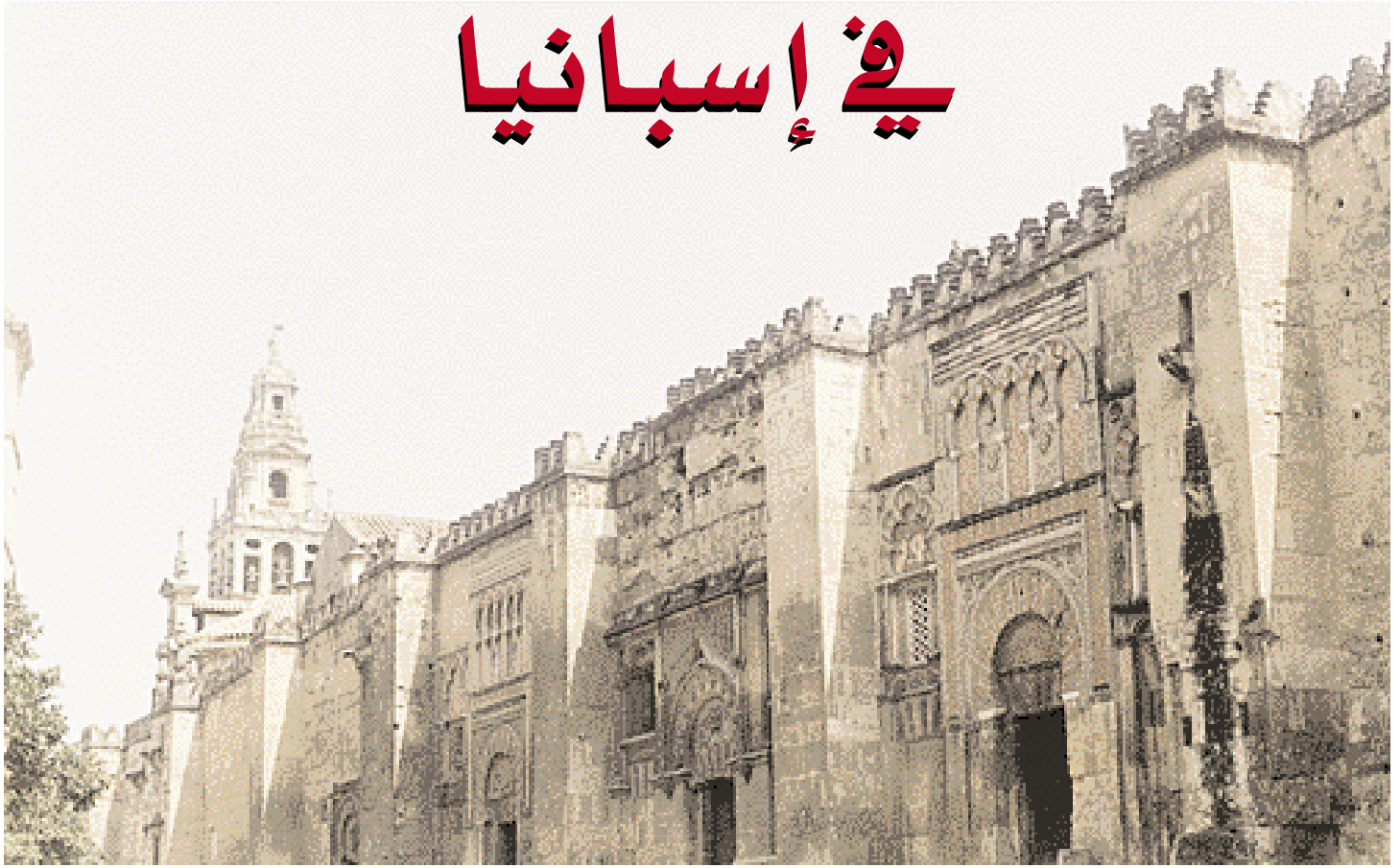


# الجالية العربية الإسلامية في إسبانيا



La Grande Mosquée de Cordoue

جامع قرطبة الكبير

## تاريخها، مؤسساتها وشخصياتها الثقافية والدينية

مدير - د. كاظم شمهود ظاهر

الإسلامية والنظام الحاكم وكان الحزب الاشتراكي يومذاك في الحكم يرأسه فيليب غونزالس فاعترفت الحكومة بتدريس مادة الدين الإسلامي في المدارس التي يكثر فيها الطلبة المسلمين. ولكن مع الأسف بقي الموضوع حبراً على ورق ثم ازداد تعقيداً بمجيء الحزب اليميني إلى الحكم سنة 1994 برئاسة خوسيه أنثار. ولكن عندما عاد الاشتراكيون إلى الحكم سنة 2003 تحركت الجالية الإسلامية وعادت من جديد لطرح الموضوع مع الاشتراكيين ولا زال الحوار جارياً.

يصل عدد الجالية الإسلامية في إسبانيا حسب الإحصائيات الرسمية إلى حوالي 600 ألف نسمة ما عدا الذين لم يتم تسجيلهم لأسباب كثيرة. وهم ينتشرون في كل المدن الإسبانية، خاصة القرى والمدن الصغيرة. ويشغلون في الزراعة والتجارة والرعي والبناء وغيرها من وسائل العيش والكسب.

فرانكو قد اعتمد على المغاربة في حربه ضد الجمهوريين الذين يسمونهم بـ "الحمير" ويعنون بهم الشيوعيين. وبعد انتصاره عليهم أصبح المغاربة يتمتعون بامتيازات كبيرة في الدولة خاصة الجيش كما أن حرسه الخاص كان مكوناً من الفريسان المغاربة. بزيمهم المغربي التقليدي. ومن هنا بدأ استيطان الجالية المغربية في إسبانيا والتي تعتبر أول جالية عربية إسلامية تعود إلى بلاد الأندلس بعد أربعة قرون من إخراج العرب.

وبعد موت فرانكو ظهر لأول مرة نظام ديمقراطي علماني ودستور جديد ورد فيه ذكر حرية الفكر والمعتقد خاصة حرية الأديان. وقد ساعد ذلك كله على ظهور المراكز والجمعيات الثقافية الإسلامية وانتشارها في جميع أطراف البلاد حينما يتواجد العرب المسلمون. وفي سنة 1992 بدأ الحوار بين ممثلين عن الجالية العربية

لعلّ من المفيد الحديث عن الجالية العربية الإسلامية في إسبانيا وتنوير القارئ بحجم ونشاطات هذه الجالية التي أصبحت تنمو بشكل مطرد مع تقدم الوقت. ولكن في الواقع لا يمكن مقارنتها بمثيلاتها في فرنسا وألمانيا وإنكلترا من حيث العدد والثقافة والسياسة. فهي تعتبر من الجاليات الصغيرة. ويعود ذلك إلى أسباب كثيرة منها. الوضع السياسي أيام فرانكو حيث كان الحكم دكتاتورياً فمعياً. ثم الوضع الاقتصادي الهش. بالإضافة إلى دور الكنيسة في الحكم وفرض تقاليدها على المجتمع. وبقي ذلك سائداً حتى وفاة فرانكو سنة 1975 وقيام النظام الديمقراطي والانفتاح على العالم والتحول الكبير الذي حدث في المجتمع الإسباني في جميع ميادين المعرفة والتقدم والحرية والفكر والمعتقد. في أثناء الحرب الأهلية الإسبانية (1936-1939) كان

خاصة رسم الكاريكاتير الفكاهي. وهي ساحة تاريخية قديمة أنشأها العرب خارج أسوار مدريد وكانت تسمى "ساحة الرض" حيث كان يباع فيها المواشي والمنتجات الزراعية وغيرها. واليوم هي من أجمل مناطق مدريد السياحية حيث تحيط بها المقاهي والمحلات التجارية التي تباع فيها التحف الفنية ذات التقاليد المديدية كما تقام فيها الاحتفالات الوطنية والدينية. ■



المركز الثقافي الإسلامي - مدريد Centre Culturel Islamique- Madrid حيث يدرس أبناء الجالية الإسلامية



مسجد أبي بكر - مدريد Mosquée Abou Baker - Madrid

## شخصيات ونشاطات ثقافية

نتيجة للنمو والتطور الذي يحدث للجالية الإسلامية في إسبانيا وخصيصاً أبنائها على مختلف صنوف المعارف والعلوم والشهادات العليا فإنه من الطبيعي أن تظهر بعض الأنشطة الثقافية وبرز عدد من الشخصيات الأدبية التي أخذت تنقل الأدب والثقافة الإسلامية إلى المجتمع الإسباني كما أنها تقوم بدور الترجمة من الأدب الإسباني إلى العربي. ومن هذه الشخصيات البارزة الأستاذ محمود صبح وهو شاعر وكتابت وأستاذ في جامعة مدريد وله عدة مترجمات من الإسباني إلى العربي مثل "مختارات من الأدب الإسباني". وسعيد العلمي وهو صحفي وروائي له عدة روايات أدبية مثل "المؤتمّر" و"مريم" وغيرها وهو يعمل الآن مراسل لوكالة الأخبار الكويتية. وكذلك عبد الهادي سعدون ومحسن الرملي وهما من أبرز الشباب العراقي المنقرف ويدرران الآن داراً للنشر ومجلة تدعى "الواح" تصدر باللغة العربية. كما أن لهما عدة كتابات في الرواية والترجمة. ولا زالا يعملان للصحافة العربية والإسبانية. والسيد كمال حلاة وهو طبيب وكتابت صحفي يشرف على مجلة تدعى "الفجر" تصدر باللغة الأسبانية وقد كانت ولا زالت تنشر لي رسوما كاريكاتيرية منذ عدة سنوات. وهناك مجلة أخرى تدعى "الأندلس" تصدر باللغة العربية يشرف عليها السيدان نائل الكحلوت ونظمي يوسف وهما كاتبان صحفيان بارزان والمجلة صدرت منذ عدة سنوات وتهتم بشؤون الجالية العربية والإسلامية في إسبانيا وتصدر مرة واحدة كل شهر.

أما الجالية العراقية في إسبانيا فهي صغيرة وغالبية أفرادها هم من أصحاب الشهادات العليا كما أن أكثرهم يشتغل في التجارة. وقبل سنوات أسست جمعية ثقافية تدعى "جمعية أهل البيت الثقافية" وهي مرخصة من قبل الدولة ولها مقرها النابت حيث تقام فيه النشاطات الثقافية والدينية خاصة أيام شهر رمضان المبارك وأيام عاشوراء.

هناك تجمع عراقي آخر يدعى "المنتدى العراقي" حيث قام بعدة نشاطات ثقافية منها الأسبوع الثقافي العراقي ومعرض الكتاب العراقي ومعرض لرسوم الأطفال وغيرها. كما يصدر مجلة دورية تدعى "المنتدى" ويرأس هذا التجمع الفنان رضا محسن.

كما برز عدد من الفنانين العرب في إسبانيا وأصبحوا اليوم من كبار الفنانين في بلدانهم وفي إسبانيا منهم أحمد نوار من مصر وعبد العزيز أبو نالي من المغرب وفائق حسين من العراق ومنير سلام من بنغلادش. وقد درس هؤلاء الفنانون في مطلع السبعينات في جامعة مدريد. ثم ظهر عدد آخر من الفنانين العرب خاصة العراقيين الذين وصل عددهم إلى حوالي 20 رساماً وقد أسسوا لهم جمعيات فنية مثل "جماعة بغداد للفن المعاصر". كما أصدرت عدداً من المجلات مثل "تجريب" وقاموا بعدة معارض وكذلك الاشتراك مع التجمعات الفنية الأسبانية الأخرى في مختلف الأنشطة الثقافية.

واليوم يتجمع عدد من هؤلاء الرسامين العرب في ساحة تدعى الميدان الكبير لبيع إنتاجاتهم الفنية

وحدث الهجرة من المغرب إلى إسبانيا يوماً تقريباً. وغالبيتها غير شرعية عبر قوارب صغيرة يطلق عليها (قوارب الموت) حيث يحشدر فيها مجاميع من الشباب المغامر الذين ضاقت بهم الحياة في بلادهم فهربوا بحثاً عن العيش والحرية. وكثيراً ما تغرق هذه القوارب في البحر بكل أفرادها. فترك لوعة. أسفاً وحرناً على هؤلاء الشباب العرب المسلمين.

وهناك ظاهرة مميزة عند المغاربة وهي أنهم أينما حلوا كوّنوا لهم جمعية أو مركزاً إسلامياً. حتى وإن كان عددهم يعد بالأصابع.

واليوم يبلغ عدد المراكز والجمعيات الإسلامية بالمئات وهي موزعة في كل أنحاء إسبانيا. وتوجد في العاصمة مدريد وضواحيها أكثر من 42 جمعية إسلامية. ومن أكبرها وأهمها المركز الثقافي الإسلامي الذي يعتبر من أكبر المراكز الثقافية في أوروبا والذي تتبناه المملكة العربية السعودية. وقد بني على الطراز الإسلامي مع عناصر معمارية حديثة وفيه مسجد على الطراز الأندلسي ومدرسة في كل مراحلها الدراسية. وفيه أيضاً مكتبة ضخمة وصلات للعرض والمحاضرات كما أن فيه مطعماً.

أما المركز الثقافي الثاني فهو مسجد أبي بكر الذي يقع في شارع أنا ستراسيو هريو في العاصمة مدريد وكان جمعية إسلامية متواضعة تأسست في مطلع السبعينات على يد بعض الطلبة المهاجرين من بلاد المشرق. ويشرف عليه المفكر والباحث الإسلامي رياض الططري الذي يعتبر مثل الجالية الإسلامية في إسبانيا. وقد كان الططري قد درس الطب ثم تبنى مسؤولية الجمعية الإسلامية في مدريد وله بحوث كثيرة عن الإسلام والفكر العربي وخاور المحاضرات ولا زال يكتب ويلقي المحاضرات القيمة التي تنبع من مخزون ثقافي ثوبيري حضاري.

وهناك مركز ثقافي آخر في مدريد وهو المعهد العربي المصري ويحتوي على مكتبة تضم آلاف الكتب كما تقام فيه النشاطات الثقافية والسياسية والفنية وغيرها. ويعتبر هذا المعهد من أكبر المعاهد العربية في أوروبا.

كما يوجد مركز ثقافي آخر في مدريد يسمى المعهد الإسباني العربي وهو مؤسسة ثقافية علمية تهتم بالتعاون وتبادل الخبرات الثقافية بين العالم العربي وإسبانيا. كما تقام فيه المحاضرات والاحتفالات وغيرها من وجوه التعاون والصداقة بين هذه الشعوب.

وأيضاً من المراكز الثقافية التاريخية القديمة التي بُشِّد إليها الرجال من قبل أهل العلم هي مكتبة الأسكربال حيث جمعت فيها آلاف المخطوطات العربية الإسلامية في زمن الملك فيليب الثاني (1556-1598) والتي أفلتت من نيران الصليبيين. ولكن في سنة 1671 تعرضت هذه المكتبة للحريق فهدمت ثلاثة أرباع المخطوطات العربية التي تعتبر عصرة الفكر والعلم العربي الإسلامي في هذه البلاد. ولم يبق منها اليوم إلا ألفي مخطوط والذي لا زال شاهداً على ما لعلماء إسبانيا المسلمة من باع في مختلف العلوم والمعارف. ويقع دير الأسكربال شمال غرب مدريد على بعد حوالي 60 كم.